تفسير إبن كثير

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ

قال الله تعالى : (فكذبوه فأهلكناهم) أي : فاستمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده ، فأهلكهم الله ، وقد بين سبب إهلاكه إياهم في غير موضع من القرآن بأنه أرسل عليهم ريحا صرصرا عاتية ، أي : ريحا شديدة الهبوب ذات برد شديد جدا ، فكان إهلاكهم من جنسهم ، فإنهم كانوا أعتى شيء وأجبره ، فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة ، كما قال : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم) [ذات العماد]) [الفجر : 6 ، 7] وهم عاد الأولى ، كما قال : (وأنه أهلك عادا الأولى) [النجم : 50] ، وهم من نسل إرم بن سام بن نوح . (ذات العماد) أي : الذين كانوا يسكنون العمد . ومن زعم أن " إرم " مدينة ، فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب ، وليس لذلك أصل أصيل . ولهذا قال : (التي لم يخلق مثلها في البلاد) [الفجر : 8] ، أي : لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم ، ولو كان المراد بذلك مدينة لقال : التي لم يبن مثلها في البلاد ، وقال : (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا

من أشد منا قوة أولم يروا أن االله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون) [فصلت : 15] .وقد قدمنا أن االله تعالى لم يرسل عليهم من الريح إلا بمقدار أنف الثور ، عتت على الخزنة ، فأذن االله لها في ذلك ، وسلكت وحصبت بلادهم ، فحصبت كل شيء لهم ، كما قال تعالى : (تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) الآية [الأحقاف : 25] ، وقال تعالى : (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) [الحاقة : 6 ، 7] ، أي : كاملة (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) [الحاقة : 7] ، أي : بقوا أبدانا بلا رؤوس ; وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء ، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخ دماغه ، وتكسر رأسه ، وتلقيه ، كأنهم أعجاز نخل منقعر . وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات ، وحفروا لهم في الأرض إلى أنصافهم ، فلم يغن عنهم ذلك من أمر االله شيئا ، (إن أجل االله إذا جاء لا يؤخر) [نوح : 4] ; ولهذا قال : (فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين)